مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهــــرام

التاريخ : ٢٩/١٠/٢٠٠٣

في ذكــرى أنـــور الســـادات

[illegible] مع ذكرى أكتوبر تحل أيضا ذكرى الرئيس محمد أنور السادات. الذى حكم مصر أحد عشر عاما حفلت بالأحداث الهامة التي كان لها عميق الأثر فى مصر والشرق الأوسط والتى اختلف واتفق معها وحولها الكثيرون، كما كان الحال حول شخصية السادات.

وقد بدأ السادات حكمه، فى أكتوبر ١٩٧٠ بعد الوفاة المفاجئة للرئيس جمال عبدالناصر فى ٢٨ سبتمبر من نفس العام وكان لزاما عليه أن يواجه عدة حقائق فى بداية حكمه أولاها، أن الأرض المصرية مازالت تحت الاحتلال وثانيتها، أنه لايستند إلى رصيد جماهيرى بعد زعامة كبيرة لها تأثيرها الجماهيرى الضخم مصريا وعربيا، وأنه ليس بالنسبة للجماهير سوى طيف لأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ومن ثم لايتمتع بالثقة فى سياساته أو قراراته إلا بالقدر الذى تقترب فيه من خط الرئيس عبدالناصر وثالثتها، أنه بعد فترة قصيرة أصبح فى صدام وصراع مع المجموعة القوية حوله المتمثلة فى رئيس الوزراء، ووزراء الدفاع والداخلية والإعلام ومدير المخابرات العامة وسكرتير الرئيس للمعلومات وقد أخذ السادات زمام المبادرة فى أوائل مايو ١٩٧١ بإقالة رئيس الوزراء على صبرى أهم أفراد تلك المجموعة وأكثرهم شراسة فى مواجهة السادات، ثم استثمر فى لحظات قليلة تقديمهم لاستقالاتهم الجماعية ومعهم عدد وافر من أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى ١٤ مايو من نفس العام، فى انهاء دورهم السياسى للأبد بقبوله لاستقالاتهم واعتقالهم، مع ملء فراغ سلطاتهم فى نفس التوقيت ودون أن تتعرض البلد إلى هزة، ودون أن يفلت زمام الموقف من بين يديه وبعيدا عن كونهم أرادوا إحداث فراغ تنفيذى لشل السادات أو كونهم خططوا لقلب نظام الحكم، فإنه يحسب للسادات عدم التردد حينما كان الحسم ضرورة، وعدم اللجوء للعبة التوازنات ومحاولة تقطيع السلطة بينه وبينهم مما كان سيؤدى لامحالة إلى اهتراء الدولة والانغماس فى صراعات ومؤامرات يتأجل معها أى هدف وطنى إلى أجل غير معلوم. وبرغم أن تلك المجموعة كانت أقرب إلى العمل السياسى من السادات أثناء حكم عبدالناصر إلا أن السادات الذى انغمس فى العمل السياسى المحفوف بالخطر منذ فجر شبابه لم يعله الصدأ من الابتعاد أو الابعاد طيلة ثمانية عشر عاما وظهر أكثر احترافا منهم، وأنهى الصراع لصالحه وسط ترحيب شعبى عكس ما كانوا يراهنون عليه، ثم جاء الصدام الثانى، وكان مع السوفييت هذه المرة حيث أنهى وجود الخبراء العسكريين السوفييت فى مصر، بعد أن استقر فى وعيه تماما أنه لايمكن شن حرب فى ظل التواجد السوفيتى العسكرى فى مصر. والسوفييت هم الحليف الرئيسى لمصر وقتئذ، والمورد الرئيسى للسلاح وهم من تولى اعادة التسليح بعد يونيو ١٩٦٧ ولكن القراءة الصحيحة للموقف كانت تؤكد أنهم لن يرحبوا بقيام مصر بعمل هجومى فالتناول السوفيتى للصراع العربى الإسرائيلى آنذاك كان وفقا للاتفاق مع الولايات المتحدة هو فرض حالة من الاسترخاء العسكرى فى الشرق الأوسط، حيث شهدت العلاقات بينهما وقتها تحسنا كبيرا وشهدت توقيع اتفاقية الحد من التسلح

بين نيكسون وبريجينيف، ولم يكن هناك من يريد بؤرة ملتهبة أخرى فى العالم تضعهم فى مواجهة بعد انتهاء الحرب فى شبه الجزيرة الهندية بين الهند وباكستان. وإن كان الترام السوفييت الاخلاقى هو كفالة الدفاع عن مصر بإمدادها بالأسلحة التى تضع مصر فى إطار الدفاع الجيد، وبوجود أطقم الطائرات السوفييت للتدريب والمعاونة، ولكن ليس ابعد من ذلك من الدفاع الجيد وقد كان لهم العذر حيث أنه بقراءة صحيحة أخرى للموقف لم تكن المعطيات تؤشر لصالح مصر حال القيام بعمل هجومى، ومن هنا كان قرار انهاء التواجد العسكرى السوفييتى بمثابة إعداد أرض المعركة للحرب، بعيدا عن أية عاطفة، بل أنه أزال عن السوفييت الحرج مع الولايات المتحدة حال قيام مصر بالهجوم وهم موجودون على ارضها. وكثيرون لم يفهموا القرار فى حينه، حتى أن هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى وقتها قال لو كان السادات طلب اى ثمن لهذا القرار لأعطيناه إياه، ولكن ما كان السادات يريد ثمنا لهذا القرار لم تكن حتى الولايات المتحدة تستطيع تقديمه.

واتسمت الادارة السياسية للحرب بهدوء الأعصاب وعدم التذبذب الانفعالى تهورا او جزعا بين لحظات النجاح أو الاخفاق، وفى كتابه عن حرب أكتوبر «حرب اكتوبر العبور والثغره يقول المؤلف ادجار أوبلانس» وقد ظل السادات يدخن غليونه طوال الحرب محتفظا بهدوء اعصابه كما اتسمت الاداره السياسية للحرب بتناغمها مع الموقف العسكرى على جبهة القتال ففى الأيام الأولى للحرب والموقف على الجبهة المصرية يتطور ايجابيا لمصلحة مصر رفض السادات طلب وقف اطلاق النار الذى حمله اليه السفير السوفييتى فى مصر فلاديمير فينوجر ادوف، وفى الأيام الأخيرة بعد أن حدثت الثغرة وفى نفس الوقت تمسكت القوات المسلحة المصرية بكل ما حصلت عليه من أرض وافق على وقف اطلاق النار فى توقيت مناسب للغاية. كما يحسب للسادات عدم معالجة خطئه بتطوير الهجوم شرقا والذى أدى لحدوث الثغره بخطأ سحب قوات من شرق القناه الى غربها مما كان سيؤدى الى الانتقاص من النجاح الذى تم، واضعاف الموقف التفاوضى لمصر والوقوع فى فخ نقل الحرب الى غرب القناه.

وبدأت رحلة من المفاوضات شهدت توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى ٢٦ مارس ١٩٧٩، وتم تحرير الأرض حتى الحدود الدولية فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢، ولابد من الاشارة الى : عدة نقاط فى هذا الشأن، وبالقدر الذى تسمح به المساحة اولا: كانت القضية الفلسطينية محورا رئيسيا فى المفاوضات فمن البداية قال السادات فى خطابه أمام الكنيست « ان، السلام العادل الذى يلح العالم كله فى طلبه اليوم لن يتحقق بدون حل القضية الفلسطينية حتى لو تم حل المشكلة بين مصر واسرائيل بل اكثر من ذلك لو تم حل المشكلة بين جميع دول المواجهة واسرائيل دون حل عادل للمشكلة الفلسطينية فلن نصل الى السلام. وأسفرت محادثات كامب ديفيد عن ورقة تحمل اطار عمل لحل المشكلة الفلسطينية بجانب الورقة الخاصة باطار عمل الحل مع مصر. كما أن اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل قد تعثرت قبل الاعلان عنها فى مارس ١٩٧٩ لاصرار مصر على وضع جدول زمنى للمرحلة الانتقالية التى يحكم فيها الفلسطينيون انفسهم حكما ذاتيا والتى

تنتهى بحقهم فى تقرير المصير ومفاوضات الوضع النهائى و قد كانت اسرائيل تصر على عدم الربط بين توقيع الاتفاقية ووضع الجدول الزمنى، وتحقق المطلب المصرى فى النهاية.

ثانيا: لايوجد ما يسمى بالحل المنفرد او الجماعى ، فجميع المفاوضات من اول روديس ١٩٤٩ والى الآن ، حتى ولو كانت فى اطار مؤتمر دولى ، تتحول لمباحثات ثنائية بين اسرائيل وكل دولة من دول المواجهة على حدة، ومنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت اسرائيل ترفض الاعتراف بها أو التعامل معها وتصر على استبعادها من اية مفاوضات لم تكسر هذه الحلقة وتصبح ممثلا معترفا به للشعب الفلسطينى فى المفاوضات الا وفق مباحثات اوسلو المباشرة والمنفردة مع اسرائيل وهو ما انتهى الى توقيع اتفاقية أوسلو فى سبتمبر ١٩٩٣

ثالثا: كانت الدعوة موجهة من مصر لجميع دول المواجهة للمشاركة فى العملية السلمية ومن اليوم الأول. بل إن السادات قد أعلن عن قبوله الدعوة وجوده اليه لزياره اسرائيل اثناء تواجهده بدمشق ولم تقدم الدول التى رفضت المضى مع السادات فى مشروعها طرحا بديلا على المستوى العملى او حتى النظرى، وقد اعادت الدول العربية العلاقات مع مصر دون أن يتغير السباب الذى قطعوا من اجله العلاقات

رابعا: مقولة ان هناك بنودا سرية فى اتفاقيات كامب ديفيد او معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل نفاها تماما كل من الدكتور بطرس غالى والدكتور مصطفى خليل، ولايوجد شبهة دليل عليها

خامسا: اذا كان تحرير الأرض هو الهدف، فقد تحررت الأرض وحقنت الدماء المصرية ، وأظنها غالية ، ، أما اذا كانت الحرب هى الهدف وليست وسيلة فذلك حديث اخر.

وبعد، كانت هذه محاولة لالقاء الضوء على عدد من اهم قرارات السادات، التى كان لها اثرها العميق فى مستقبل مصر وسياسة المنطقة. واذا كان أسلوبه فى الاعلان عن القرار هو الصدمة الكهربائية فمن الواضح انه لم يكن اسلوبه فى الوصول الى القرار. وهو ماجعل رهاناته رابحة حتى الان على الأقل، كان أنور السادات كالممثل الموهوب الذى لعب فى بداية حياته عددا من الأدوار الصغيرة، ولكنها لفتت الأنظار بشدة ثم ابتعد لفترة فى الكواليس ، ولكنها الفترة التى راقب فيها جيدا وقرأ فيها جيدا واستوعب فيها تماما فلما جاءته الفرصة ادى دور عمره.

خاتمة: تحية من اعماق القلب الى ضباطنا وجنودنا الذين ، رووا أرضنا بدمائهم الطاهرة وحبات عرقهم العطرة.. الفاتحة لشهدائهم، والاجلال لأحيائهم، وكل التقدير لمن عزت عليه أرواحهم.